

شهيد الجبل الأزرق مصطفى بن بوالعيد

(1956-1916)

د/الطاهر جبلي / قسم التاريخ / جامعة تلمسان.

Djebli_tahar@yahoo.fr

Abstract

Martyr of the Blue Mountain Mustapha Ben Boulaid(1917 /1956)

The revolution of November 1st, 1954 was associated with the brightest leaders who were known by their rare courageous which was built up from their high morals and qualities .Their political and military genius was appeared , challenging all the colonial obstacles and plans which were created by the enemy to crush the revolution .

The most distinguished Man , Mostapha Ben Boulaid was one of the nationalist pioneers and activists who believed in the futility of the political fight and one of the few formers who led the revolutionary project and mixed the papers in Matignon .He was that Man who divided his short life equally between the prison and the mountain.

The Occasion, then, is just for remembrance and a reminder of the powerful and strength elements and virtues of that Man who has done his best and has given his life and his personal wealth to serve the revolution for the sake of Algerian's

revival at a time when there was no signs of nearer political or military victory.

In this study, we will attempt to monitor the biography and the journey of the hero mustapha Ben Boulaid ,from his birth till his death on March 22nd,1956 and also through prominent stations of his struggle life in Algerian 's people party , victory movement for democratic freedoms ,and his position from the massacres of May 8th,1945. Then, his efforts in special organization, particularly in Aouras . In addition to this,his pioneer and distinguished role to prepare for the outbreak of the liberation revolution in November, 1st 1954.

The colonial writings also, confess that the liberation revolution in its first stage was the efforts of Ben Boulaid in vew of his role in structuring the revolution, collecting weapons and in organizing network of logistical help in Northern borders .

The end of the hero in this Epic was a surprise as he was martyred on March ,22 nd 1956 in a difficult circumstances which faced the revolution in its first stage.

مقدمة:

ارتبطت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 بألمع القادة الذين عرفوا بشجاعتهم النادرة المشيدة بما يتحلّون به من سامي الأخلاق ورفيع السجايا، وظهرت عبقريتهم السياسية والعسكرية، متحدية كل العقبات والمخططات الاستعمارية التي وضعها العدو للقضاء على الثورة.

الرجل المتميز، مصطفى بن بولعيد، واحد من الرؤاد الوطنيين النشطاء الذين آمنوا بعقم الكفاح السياسي،ومن ثلّة الأولين الذين قادوا المشروع الثوري، وأخلطوا الأوراق في ماتنيون، هو ذلك

الرجل الذي شاءت له الأقدار في الفترة القصيرة من عمر الثورة أن يقتسم فيها حياته بين السجن والجبل بنفس القدر.

فالمناسبة إذاً، ليست إلا من قبيل الذكرى، واستحضارا لعناصر القوة والبأس واستدراكا لفضائل هذا الرجل الذي أبلى البلاء الحسن، ووهب حياته واستثمر ثروته الشخصية لخدمة الثورة في سبيل أن تحيا الجزائر في وقت لم تلح فيه أية بوادر، ومؤشرات تبشر بانتصار سياسي أو عسكري قريب.

وإذا كانت الجزائر تحتفل بهذه الذكرى، فهي تتطلع إلى تخليد وتمجيد هؤلاء الشهداء والأبطال الذين ضحوا في سبيل الله، والوطن كي يحي حرا عزيزا بين الأمم، فما أحوجنا اليوم في هذه الظروف التي تعيشها البلاد إلى نساء ورجال في مثل حسيبة بن بوعلي ومصطفى بن بولعيد اللذين جسدا بتضحيتهما أسمى معاني الوفاء والإخلاص.

1) المولد والنشأة الأولى (جوانب من حياته الدراسية والاجتماعية) :

ولد مصطفى بن بولعيد في قرية "إينكرب" القريبة من أريس بالأوراس في يوم 05 فيفري 1917، وهو ابن أحمد بن عمار بن بولعيد وعائشة بركان، من عائلة أولاد تخريست من عرش التوابة¹، ترعرع الشهيد في أحضان أبويه مع أخيه الأكبر عمر وخمس أخوات، ثلاث شقيقات، إثنان من أبيه، فكان ابن بولعيد الابن ما قبل الأخير في العائلة المتكونة من سبعة أبناء².

ومنذ نعومة أظافره انكب ابن بولعيد على حفظ ما تيسر من القرآن الكريم على أيدي شيوخ قريته³، كما تعلّم كذلك على يد الشيخ محمد بن ترسية⁴.

وفي بيئة متميزة بالعلم والمعرفة، واصل ابن بولعيد مشواره الدراسي حيث درس في باتنة، وتحصل على الشهادة الابتدائية بالمدرسة الأهلية (مدرسة الأمير عبد القادر حاليا)، ثم درس في المدرسة الابتدائية العليا باللغتين العربية والفرنسية، وبقي فيها سنتين قبل أن يعود إلى أريس⁵ لكن الأب الوقور أوقفه عن الدراسة خشية أن يتأثر الابن بالثقافة الأجنبية، ورغم توقف ابن بولعيد عم الدراسة إلا أنه لم ينحرف عن الطريق الذي رسمه لنفسه في طلب العلم والتوعية، حيث انخرط في

نادي الاتحاد بأريس الذي يرأسه الشيخ الأمير صالح، وكان الشهيد كثير التردد في طلب العلم والمعرفة على نادي الشعبية الأوراسية "الأحباب" التي ترأسها الشيخ عمر دردور في الثلاثينات⁶. وبعد وفاة أبيه سنة 1935 خلف الشهيد والده في مهنة التجارة، وأنشأ شركة للنقل "نقل المسافرين" على الطريق الرابط بين أريس وباتنة في سنة 1944، وقد سمح له نشاطه الحرفي بنمو ثروته الشخصية، ففي سنة 1952 أصبح يمتلك ضيعة مساحتها 93 هكتار لزراعة الحبوب وملكية فلاحية في فم الطوب ومعصرة في العفراء ومنزلا ومستودعا بأريس⁷ وأصبح رئيس تعاونية تجار الأقمشة في الأوراس⁸.

وفي هذا السياق يذكر جون موريزو "JEAN MORIZOT"⁹ الذي التقى به سنة 1941 في أريس «بأنه كان خجولا، وغامض، وظريف جدا، وشريف، وقد استطاع خلال مزاولته لنشاطه التجاري أن ينشأ صداقة مع جميع الدواير».

وفي سنة 1939 تمت تعبئته للتجنيد الإجباري إذ شارك أثناء الحرب العالمية الثانية في صفوف الجيش الفرنسي لكنه أعفي بعد إصابته بجروح ليعود مجددا إلى الثكنة بمدينة خنشلة سنة 1942¹⁰. وأثناء وجوده في الثكنة أتهم بتحريض الشباب المجند من الجزائريين بالجيش الفرنسي على رفض بعض الأوامر، وقيامه بحركة تمرد على قيادة الجيش فألقي به في سجن قلعة العسكري إلى أن أطلق سراحه وتسريحه من الخدمة العسكرية¹¹، فعاد ابن بولعيد إلى الحياة المدنية بعد أن حاز على رتبة مساعد ومدالية عسكرية و صليب الحرب¹²، وفي سنة 1942 تزوج من عائلة ابن المناع وأنجب ستة أبناء و بنتا واحدة¹³.

في هذه البيئة المتميزة التي نشأ فيها مصطفى بن بولعيد والتي تميزت بظهور الوعي السياسي و بروز الأفكار الوطنية التي انتشرت في منطقة الأوراس بسبب العدد المتزايد للشباب الذين هاجروا إلى فرنسا، إضافة إلى دور العلماء في الإصلاح الاجتماعي وطبيعة المنطقة الأوراسية المعروفة بالتمرد والرفض لأي دخيل، برز الوعي السياسي لدى الشهيد ليكون ذلك بداية لدخوله معترك الحياة السياسية

(2) أدوار ومواقف في كفاحه القومي والسياسي :

عرفت منطقة الأوراس نشاطا سياسيا كبيرا بعد تأسيس أول تنظيم سياسي في أريس على يد السيد بكوش محي الدين المعروف في عنابة بولد الصادق الأمين الذي اعتقلته السلطات الفرنسية وأبعدته من عنابة إلى أريس.

ويعتبر هذا التنظيم السياسي النواة الأولى للحركة السياسية في منطقة الأوراس وتكون من أربعة مناضلين "مختاري الصالح، أسماحي أزراي، بعزي لخضر، قربازي لخضر"، واتسع هذا النظام مما اقتضى تعيين مسؤولي القسمات، ومن بين هؤلاء المسؤولين مسعود بلعقون الذي عين على قسمة أريس¹⁴، وفي هذا الجو المفعم بالنشاط السياسي دخل ابن بولعيد الحياة السياسية على يد المناضل الحاج أزراي أسماحي الذي أدخله في التنظيم السياسي الذي كان يشرف عليه مسعود بلعقون في منطقة أريس حيث أعطى نفسا جديدا بنشاطه وماله.

في سنة 1944 عين ابن بولعيد على رأس قائمة أحباب البيان في الأوراس التي لم تكن سوى تجمعاً لجميع تيارات الحركة الوطنية ماعدا الحزب الشيوعي، وعندما علم بحقيقة مؤامرة الإدارة الفرنسية في 8 ماي 1945 قام بإلغاء الاحتفالات المقررة بأريس واختار المحافظة على صيحة المنظمة والمناضلين¹⁵.

إن الحوادث التي عرفتها مدن الشرق الجزائري، سطيف، قلمة، خراطة في 8 ماي 1945 والتي راح ضحيتها 45 ألف شهيدا كانت سببا مباشرا في إختيار نظام سري، والتحضير للعمل المسلح وبالفعل تأسس هذا النظام في منطقة الأوراس سنة 1947 بقيادة مصطفى بن بولعيد¹⁶.

فبين سنوات 1945 - 1948 إلتحق حوالي 50 مناضلا بالجبال وتولى ابن بولعيد هيكلتهم في الأوراس وبن بلة في وهران، وقد ظهر الدور الذي لعبه ابن بولعيد في هذه الفترة بحكم علاقته مع قيادة حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية (M.T.L.D) في إشرافه على تنظيم سياسي محلي¹⁷ وفي تقرير للدرك الفرنسي، بباتنة بتاريخ 27 جوان 1947 تمت الإشارة إلى قيام ابن بولعيد بشراء الأسلحة، لكن المصالح الخاصة لم تكن لها أدلة قطعية على ذلك¹⁸، وفي الانتخابات الخاصة

بالمجلس الجزائري بتاريخ 04 أبريل 1948 فاز ابن بولعيد بـ 10 آلاف صوت لكن إدارة البلدية المختلطة بالأوراس ألغت النتيجة وعينت مكانه القاضي عبد القادر من جماعة "بني وي وي"¹⁹ الذي كان مترشحا في قائمة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA)²⁰، وبسبب هذا التزوير يعزو بعض المؤرخين إصابة ابن بولعيد بالقرحة المعدية وقد كان ذلك الفعل، هو الذي دفع ابن بولعيد إلى أن يتحول إلى أكبر منظم للثورة²¹، وبعد اكتشاف المنظمة الخاصة من طرف المصالح الفرنسية سنة 1950 تم إيقافه بعد عمليات المتابعة التي قامت بها الشرطة ضد أعضاء المنظمة، لكنه هرب من سجن عنابة سنة 1952 برفقة زيغود يوسف²²، وفي 23 فيفري 1954 قام ابن بولعيد بزيارة مصالي في منفاه بنيور NIORT في فرنسا من أجل الحصول على موافقته أو إعطاء إشارة للعمل المسلح ودامت المحادثات ثلاثة أيام وإنتهت دون جدوى لأن زعيم الحزب (مصالي الحاج) اعتبر بأن الوقت لم يحن بعد²³.

(3) التحضير للعمل المسلح (البطل والأدوار) :

أثبتت حوادث الثامن ماي 1945 عدم جدوى الكفاح السياسي، وشكلت منعطفا تاريخيا في مسيرة الحركة الوطنية الجزائرية، وكانت بمثابة نقطة اللارجوع بالنسبة للكثير من القادة الوطنيين الذين يؤمنون بنجاعة العمل المسلح رغم الطروحات المختلفة التي أبدتها التيارات السياسية داخل الحركة الوطنية حول مستقبل الجزائر وقضية الاستقلال.

في هذا الجو المشحون بالتفاعلات السياسية داخليا وخارجيا إزداد، إيمان تلك الثلة التي آمنت بوجوب الكفاح المسلح وبرزت فكرة إعادة بعث المنظمة الخاصة من جديد، وبدأ التحضير للعمل المسلح من طرف النشطاء، ويمكننا القول أنه اعتبارا من عام 1951 اتسع نطاق النظام العسكري بعملية التعبئة الشاملة في منطقة الأوراس بجمع الأسلحة ومنع الشعب من استهلاك البارود والذخيرة في الأعراس²⁴.

وعلى مستوى القيادة شارك ابن بولعيد في قرار إعادة تنظيم المنظمة الخاصة، أثناء انعقاد المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بالجزائر من 4 إلى 6 أبريل 1953، رفقة بن عبد المالك

رمضان ومجموعة أخرى ضمن أعضاء الجناح المسلح وزعيم الحزب، وكان على تلك اللجنة ضمان بعث النشاط من جديد²⁵ على إثر الزيارة التي قام بها ابن بولعيد إلى مصالي الحاج في منفاه بنيور في 23 فيفري 1954 للحصول على الضوء الأخضر للعمل المسلح، لكن اللقاء انتهى دون جدوى كما ذكرنا سالفاً، وبذلك عاد ابن بولعيد إلى الجزائر بقناعة راسخة، مسانداً بدعم بوضياف صديقه القديم في صفوف المنظمة الخاصة الذي كان مسؤولاً على الشمال القسنطيني على ضرورة القيام بتفجير الثورة²⁶، وفي شهر أفريل 1954 عقد اجتماع برئاسة ابن بولعيد بدار مسعود بلعقون في باتنة حضره كل من "بشير شبحاني، وعجال عجول، ولغور عباس، والطاهر غمراس، محمد الطاهر أعبيدي، محمد خنطر، أحمد زروال، مسعود عايسى، أحمد نواورة، ناجي بنحاي، وعمار معاش، ومحمد الشريف وعكشة وبلقاسم بن شايبة"، وقد تمّ في هذا الاجتماع عرض التطورات السياسية في منطقة الأوراس والجزائر عموماً، وهنا صرح ابن بولعيد بأن موعد انطلاق الثورة قريب جداً وأكد على ضرورة مواصلة النضال²⁷ واستدعي إثنان وعشرون مناضلاً، عرفوا بالنشطاء، واجتمعوا في 25 جوان 1954، وقد وضعت هذه المجموعة بمنزل الياس دريس في المدينة هذه المجموعة وضعت على رأسها قيادة من خمسة مناضلين وهم : " مصطفى بن بولعيد، محمد بوضياف، ديدوش مراد، رابح بيطاط، العربي بن مهيدي" وكلفوا بالتحضير العاجل والفوري للعمل المسلح في كامل التراب الوطني²⁸.

4) بن بوالعيد الرجل الثائر (حنكة سياسية وموهبة عسكرية) :

نستطيع أن نقول اليوم دون أن نقع في مغبة الخطأ بأنه لو لم يكن مصطفى بن بولعيد، فإن "محاولة التمرد" في الجزائر، كان يمكن أن يكون لها منحنى آخر، ولو قدر انعدام ملجأ ثوري مسلح بالأرواس في 1 نوفمبر 1954، كان ذلك سيؤثر حتماً في صورة وخصوصية الثورة، إن صاحب هذا التعليق هو جون فوجور JEAN VAUJOUR²⁹ مدير الأمن العام في الجزائر³⁰.

وعلى هذا الأساس يحق للمرء أن يتساءل أمام هذا الإقرار أو الشهادة التي جاءت على لسان مسؤول سام في جهاز الأمن الفرنسي ما الذي كان يشكله ابن بولعيد من خطر على

"الجزائر الفرنسية"؟ وما هو حجم الدور الذي لعبه في العمل الثوري؟ حتى شهد له أعدائه بهذه المكانة في قيادة الثورة التحريرية.

إننا لن نقف على ما حققه ابن بولعيد من أجل المشروع الثوري إذا ما اقتصرنا على مساهمته المباشرة في الفترة القصيرة التي عاشها من عمر الثورة والتي اقتسمها الجبل والسجن بنفس القدر³¹.

لكننا بالعودة إلى الكتابات التاريخية يمكننا أن نتوقف عند محطات ومعالم زمنية تجسدت فيها ملامح العبقرية السياسية والموهبة العسكرية في شخصية ابن بولعيد، وأول قرار يُتخذ على الفطنة والصواب في حياته النضالية تم عندما كان على رأس التنظيم المعروف بأحباب البيان والحرية في الأوراس في شهر ماي 1945، إذ قام بإلغاء الاحتفالات المقررة بأريس بعدما أدرك مرامي وأهداف المؤامرة الاستعمارية التي كانت تهدف إلى قمع المتظاهرين، وكانت ثمرة قراره بأنه حافظ على التنظيم والمناضلين وجمع سكان منطقة الأوراس³².

ومن مآثر ابن بولعيد في القيادة والتي كانت تنبع من إيمانه بالعمل الموحد، قيامه بعملية مصالحة بين قبيلتين من كبريات القبائل على هامش الأوراس، وهما قبيلته المعروفة بالتوبة، أو أولاد داوود وقبيلة بني سليمان حيث نجح في ضمهما إلى صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية³³. M.T.LD

ولم تتوقف جهود الرجل في جمع شتات منطقتيه من أجل العمل المسلح والقضية الوطنية فحسب، إنما قدر له التاريخ أن يكون أحد أبرز أفراد تلك الثلة التي أخرجت الحركة الوطنية من المأزق الذي عرفته لمدة سنوات، ففي ربيع 1954 جسد ابن بولعيد رفقة بوضياف، ديدوش، بن مهدي، بطاط ثم كريم بلقاسم نواة مشروع الثورة بإنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل C.R.U.A وهي الجنين الذي لم ينتظر تسعا ليولد جبهة وطنية للتحرير، ومع اندلاع الثورة لم يعد ابن بولعيد ذلك التاجر الصدوق والرجل الشريف كما وصفه "موريزو MORIZOT" في سنة 1941، كما لم يعد ذلك الوطني والسياسي المناضل فحسب بل أضاف إلى شمائله بأن أصبح ذلك

القائد المجاهد الباسل الذي لقبته الأوساط الاستعمارية العسكرية " بثعلب الأوراس"³⁴ آنذاك³⁵ ، كما اعترفت الأجهزة الاستعمارية الخاصة بقدرته التنظيمية وبدوره العسكري الذي تجاوز حدود الأوراس، فقد جاء على لسان العقيد "إيفرار EVRAR"³⁶ بأنه "من دون ابن بولعيد كانت المنطقة حتما سوف تدخل في فوضى ونزاعات بين الأعراش، لكنه استطاع أن يثبت النظام ويرسخ التفاهم ويفرض الانضباط"³⁷.

كما أقرت نفس الأجهزة بأن ابن بولعيد "كان أحد أعمدة التمرد" فهو الوحيد الذي استطاع أن يوحد منطقة من أصعب المناطق في الأوراس، التي كان فيها الرجال يتحاربون فيما بينهم من واد إلى واد، لكن مع ابن بولعيد أصبحت الوحدة قائمة وضدنا نحن"³⁸.

(5) بن بوالعيد في الأسر (ظروف وملابسات حول عملية الاعتقال) :

تحصلت مديرية أمن الإقليم (D.S.T) في شهر فيفري 1955 على تقرير للشرطة الذي أوضح أن ابن بولعيد يحاول الوصول إلى طرابلس، لطلب السلاح من الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني المقيم بالقاهرة آنذاك، وعند مروره بقفصة استبدل دليله بهدف الدخول إلى ليبيا بواسطة الطريق الجنوبي، وقد مكّنت المعلومات التي تحصلت عليها الأجهزة الفرنسية من تونس والجزائر بإيقافه عند الحدود ، تظاهر في بادئ الأمر بأنه ليبي، ولكنه اعترف فيما بعد أمام محافظ أمن الإقليم بهويته الحقيقية وكان يحمل عند اعتقاله أوراق خاصة بجيش التحرير الوطني ووثائق أخرى تتعلق بالأوضاع السيئة التي كانت تعاني منها الثورة في الأوراس، وحسب هذه الرواية الفرنسية أن عدد المجاهدين لم يكن يتجاوز 359 مجاهدا يعوزهم المال والسلاح ووسائل الاتصال³⁹.

لكن ما أوضحه المجاهد الطاهر الزبيري في روايته حول قصة اعتقال الشهيد ابن بولعيد أن المصالح الفرنسية تمكنت من إلقاء القبض عليه بعد أن اعتقلت مرافقه المدعو "حجاج بشير"، الذي تعرض لصنوف شتى من أنواع العذاب وأقر بتاريخ ومكان اللقاء بإبن بولعيد وقد تكون المعلومات التي استقتها الأجهزة الفرنسية الخاصة قد تمت خلال استنطاق هذا الأخير⁴⁰.

ويذكر (فوجور JEAN VAUJAUR) أن الاعتقال كان صبيحة 11 فيفري 1955 بالقرب من الحدود التونسية الليبية في منطقة "بن قردان" عن طريق دورية المخازنية وتم استنطاقه في قفصه ثم في تونس على يد رئيس فرقة مراقبة الإقليم التونسي بحضور العديد من محافظي وضباط الشرطة القضائية للأمن العام في الجزائر الذين بعثت بهم المصالح الفرنسية، وفي هذا الإطار أعرب محافظ شرطة الاستعلامات العامة (P.R.G) ⁴¹ في باتنة السيد (لدوسال LEDOUSSAL) في تقريره "بأن الاعترافات الصادرة على لسان ابن بولعيد أخذها بتحفظ شديد لأنها كانت ناقصة وموجهة، وفي أغلب الأحيان خاطئة" ⁴².

ومن الأهمية بما كان أن نشير إلى أن اعتقال ابن بولعيد كان حدثا هاما بالنسبة للأجهزة الخاصة، فضلا عن الأوساط السياسية العليا، فبعد اعتقاله في تونس، أوفد (جاك سوستال J.SOUSTELLE) الرائد مونتاي MONTEIL لاستجوابه قبل الشروع في اتصالات مع جبهة التحرير الوطني.

وقد صادف اعتقال ابن بولعيد قدوم جاك سوستال ورئيس غرفته "مونتاي MONTEIL" إلى الجزائر في 15 فيفري 1955 وطلب هذا الأخير الإذن بلقاء مع ابن بولعيد في تونس، فيتم له ذلك وعندما دار الحديث بين الرجلين حاول مونتاي الحصول على أكبر قدر من المعلومات من ابن بولعيد لكن الرجل فضل الحديث عن السياسية وأبد صلابة وصبرا شديدين وقام بانتقاد سياسة الإدارة الفرنسية التي زورت الانتخابات في عهد "نيجلان NAEGELEN" وعلى القهر النفسي والاضطهاد الاجتماعي والسياسي الذي دفعه ومئات آخرين إلى الثورة، وحاول مخادعة محدثه بأنه يفضل حلا سياسيا عقلانيا مقبولا من الجميع، مما يمكن من استعادة السلم في الجزائر .

وأمام تهرب ابن بولعيد من الإجابة على ما يسعى إليه الرائد الفرنسي، مونتاي MONTEIL الذي ذكر ابن بولعيد بأنه لا يستطيع أن يفعل له شيئا، جاء ردّ ابن بولعيد صريحا صراحة أذهلت "مونتاي MONTEIL" عندما قال له "إنني لم أطلب شيئا لنفسني سيدي الرائد، نفسي لا تساوي

شيئا، إنني على استعداد تام على أن أوقع على ورقة أعلن فيها بأني مستعد وموافق على أن أرمى بالرصاص إذا كان موثي ينفذ الجزائر"⁴³.

لكن شجاعة ابن بولعيد لم تشفع له لدى الإدارة الفرنسية الاستعمارية التي نقلته إلى الجزائر وحكمت عليه بالإعدام، وسجن في سجن لومبار "تازولت" بباتنة ثم نقل إلى سجن الكدية بقسنطينة الذي فرّ منه في 4 نوفمبر 1955⁴⁴.

(6) قصة الهروب من سجن الكدية :

يذكر المجاهد الطاهر الزبيري في شهادته أنه بعد اعتقال ابن بولعيد في شهر فيفري وإدخاله السجن، تمت محاكمته في يوم 18 أوت 1955 رفقة مجموعة من المجاهدين وتراوحت الأحكام الصادرة في حقهم بين الإعدام في حق ابن بولعيد وصاحب الشهادة والمجاهد سبي حجار وأحكام أخرى متفاوتة⁴⁵.

لكن في تاريخ 4 نوفمبر 1955 استطاع ابن بولعيد وعشرة من رفقاء الهروب من السجن بعد أن قضى به ما يقارب تسعة أشهر بعد أن حكم عليه بالإعدام كما ذكرنا سابقا⁴⁶.

لقد كانت عملية الفرار رائعة رغم أنها لم تثر اهتمام الكتاب والمؤرخين⁴⁷⁽⁴⁸⁾ وكان لها وقعا شديدا على السلطات الاستعمارية التي حاولت التقليل من أهميتها على الرغم من أن الأمر يتعلق بأحد أبرز قادة الثورة الجزائرية، وفي العديد من الكتابات التاريخية الفرنسية نصادف هذا التضليل المتعمد التي حاولت فيها تلك الكتابات ذر الرماد في الأعين بغرض التميويه والمغالطة.

(فايف كوريير YVES COURRIER) يذكر أن الفرار كان مسبقا بمقايضة ابن بولعيد⁴⁸ بستة⁴⁹ أو خمسة⁵⁰ من المظليين الفرنسيين الأسرى لدى جيش التحرير الوطني، وهنا حاول هذا المؤرخ الفرنسي ذو الارتباطات الوثيقة بالاستخبارات والأوساط العسكرية والسياسية الفرنسية أن يختزل العملية في كونها تمت في إطار تبادل أسرى بين الطرفين، لكنه يمكننا من جهة أخرى تنفيذ هذه الفكرة باعتراف "جون موريزو JEAN MORIZOT" تشير بأن ابن بولعيد بفراره نال حريته بنفسه، وتمت عملية تحرير المظليين الخمسة بعد فراره لمدة في منطقة فركان جنوب تبسة⁵¹، كما أنه يمكن

تفنيذ فرضية المبادلة بأن ابن بولعيد لم يكن وحده عند عملية الفرار بل كان برفقة مجموعة من المجاهدين.

وبعد أن استعاد ابن بولعيد حريته من جديد التحق بمعقل الثورة في الأوراس من جديد وتولى قيادة المنطقة الأولى في 22 ديسمبر 1955⁵²، التي وجدها تتخبط في جملة من المشاكل على رأسها ذلك التوتر الذي ساد بين صفوف الثوار عقب تصفية شبحاني على يد مقريه، لكن ما أ، إستعاد ابن بولعيد التحكم في الأمور كعادته دائما لم يمهل القدر سوى أشهر قليلة بعد هروبه من السجن فكان استشهاده في ربيع 1956 .

(7) استشهاد البطل :

لم يكن استشهاد ابن بولعيد في 22 مارس 1956 بصورة عادية، فقد ذهب الرجل ضحية مصيدة محكمة وفخ رهيب صنعتها الأجهزة الفرنسية الخاصة بواسطة جهاز اتصال "مرسل - مستقبل" وبتواطؤ يد خفية لأحد عملاء الاستعمار في صفوف المجاهدين.

تبدأ القصة في أحد مقرات الجيش الفرنسي بمنطقة "منعة" داخل مكتب من مكاتب الأجهزة الخاصة، حيث تلقف العقيد إيفرار IVRARD مشروع تصفية أحد أعمدة الثورة الجزائرية والذي كان قد أعده النقيب "كروتوف KROTOFF"⁵³ الذي هلك قبل أشهر قليلة من استشهاد ابن بولعيد في عملية إنزال للمظليين بالأوراس، ومن هنا يمكن أن نفهم الخلفية الإنتقامية لاغتيال ابن بولعيد على يد جنود النقيب الفرنسي الهالك.

كانت الفكرة التي آمن بها "كروتوف KROTOFF" للقضاء على الثورة تقوم على تصفية رؤوسها توفيراً للجهد ولو استدعى الأمر استعمال أساليب جهنمية، وهذه القناعة أورثها لخلفائه وبضوء أخضر من باريس، حاولوا تجسيدها ميدانيا وكان ابن بولعيد - "الثعلب" - كما لقبه الفرنسيون أول شخصية مستهدفة.

لكن امتلاك الثورة في الأوراس لعين بزعامة قائد فذ وفطن، صعب مهمة دهاقنة الاستخبارات الفرنسية فإضطرهم الأمر إلى ضرورة استعمال الجهاز المفخخ الذي كان هيكله من مادة متفجرة قد تكون من البلاستيك^{54 55}.

ولا يصل الطرد الفخ بين يدي ابن بولعيد قامت طائرة حربية فرنسية من طراز D.C.3 المسماة "داكوتا DAKOTA" بأوامر من عقيد المخابرات إيفرار "EVRAR" ومساعدته "لبريس LABRESSE" بالطيران فوق محور "تامشت - منعة - نارة" وقامت بإلقاء طردين محملين بكمية من الأرز في المرحلة الأولى وطرد ثالث يحتوي على الجهاز المفخخ، عندما كانت في أجواء منطقة تشكل هامش حركة لعناصر جيش التحرير الوطني⁵⁶، وللتمويه، وحرصا على السرية التامة أمر مدبروها المجموعة الخفيفة للتدخل G.L.I وهي وحدة رئيسية تابعة لفريق "الصدمة 11 - 11 CHOC"⁵⁷ فرقة العمل التابعة للاستخبارات الفرنسية بالخروج وتمشيط المنطقة التي سقطت فيها الطرود لإستعادتها وتعمدت الإبطاء والتماطل ليقينها بأن الثوار لن يلبثوا أن يستولوا على تلك الغنيمة المسمومة، ويذكر مهندس اغتيال ابن بولعيد أن الذي قام بإيصال الجهاز كان أحد رجاله بين صفوف المجاهدين وهو المدعو "بعازي علي" وتم أخذه إلى ابن بولعيد في 17 مارس 1956⁵⁸ لكن عملية تشغيله استدعت إحضار بطارية ذات قوة (6-V فولت)، ولذلك كلف ابن بولعيد المجاهدين "عبد الحميد العمراني - ومحمد بن عكشة" بإحضارها من مدينة بسكرة⁵⁹.

ورغم أننا لا نتوفر على معطيات تحدد لنا أجواء الاستشهاد بدقة إلا أن المصادر التاريخية أجمعت على أن حركة واحدة من يد ابن بولعيد امتدت لتشغيل الجهاز كانت كافية ليسقط شهيدا رفقة إخوانه في الجهاد المقدس في صبيحة يوم من الأيام الأولى لربيع 1956 بالجبل الأزرق⁶⁰.

*الخاتمة:

إن ملامح العبقرية السياسية والموهبة العسكرية في شخصية ابن بولعيد في مسيرته النضالية، ورغم الفترة الوجيزة التي قضاها في أحضان الأوراس من عمر الثورة التي لم تبلغ حولين كاملين، جعلت أعدائه يشهدون له بهذه المكانة في التخطيط والتوجيه والقيادة.

هذه الاعترافات التي جاءت على لسان شخصيات رفيعة المستوى في أجهزة الاستخبارات الفرنسية في حربها ضد الجزائر كفيلة لمعرفة حقيقة الرجل الموهبة.

إن مآثر ابن بولعيد في القيادة كانت نابعة من إيمانه بالعمل الوحدوي من أجل نجاح المشروع الثوري، هذا الإيمان الذي كان وليد البيئة المتماسكة في عدائها لأي دخيل والمعروفة بعلمائها الذين كان لهم الدور البارز في الإصلاح الاجتماعي، فالوطنية المتأصلة التي تشبع بها ابن بولعيد على يد علماء الإصلاح الاجتماعي في منطقة الأوراس رسمت له الاتجاه الايديولوجي لمفهوم الثورة في بيان 1 نوفمبر 1954.

فالرجل كان بالفعل من الأبطال العظماء، لكن أكثرية العظماء تكون نهاية أدوارهم في الملحمة غير طبيعية تاركة ورائها الكثير من الأسئلة رغم تعطش الأجوبة إلى ما يرويها ظمأ معطيائها، استشهد البطل وتواصلت الملحمة.

الهوامش:

¹ إن انتماء مصطفى بن بولعيد إلى هذا العرش " التوبة " مهم جدا لفهم شخصيته، فأولاد داوود أو التوبة كان العرش الأكثر نفوذا والأكثر ثراء والأكثر تطورا في الأوراس الغربي، واحتل هذا العرش المنطقة الوسطى بين التل والصحراء (الهامش الأوراسي)، ويجب الإشارة إلى أن هذا العرش الأكثر نفوذا ينتمي إليه كذلك مسعود بلعقون (1895) الذي نشط في جمعية العلماء منذ نشأتها، وفي سنة 1938 انخرط في حزب الشعب الجزائري P.P.A وأصبح مسؤولا على منطقة الأوراس، كما قام لاحقا بتشكيل الخلايا الأولى للحزب في أريس التي كان ابن بولعيد أحد مناضليها الأوائل. أنظر: (Jean - Morizot) :Laures Ou Le Mythe De La Montagne Rebelle L'harmattan. Paris 1991, p 323.-

² محمد العيد مطمر، فاتحة النار، العقيد مصطفى بن بولعيد- عين مليلة، دار الهدى، 1990، ص 11.

³ لعبت الزوايا في هذه الفترة دورا بارزا في الإصلاح الاجتماعي بمنطقة الأوراس، حيث حوّل الشيخ عمر دردور الزاوية التي ينتمي إليها إلى تنظيم إجتماعي إصلاحي سنة 1936 هذا ما دفع به إلى السجن من طرف المصالح الفرنسية.

⁴ محمد العيد مطمر، نفس المرجع، ص 11.

⁵ Chenouf Ahmed Boudi-Mostafa :ben boulaïd leatitant de la cause nationale-memoria magazine N° 1-1 novembre- spécial 1er novembre et publicité. P.A.0- Alger.1997.p 30.

⁶ محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص 12.

⁷ Jean Morizot. Op.Citt- P 323.

⁸ Antoine Quentin, Un album de famille charge explosifs.in-historia magazine N° 195-29 Septembre 1971-P 44.

⁹ جون موريزو Jean Morizot خريج المدرسة العليا للتجارة عام 1930، دخل إلى الجزائر واشتغل في البنك، ثم في إدارة البلديات المختلطة حتى سنة 1962 وذلك بمنطقة الأوراس، كما أنشأ مركزا للدراسات الثقافية في لوزان حاليا وقد ألف كتب ومقالات حول مشاكل المغرب العربي.

¹⁰ Antoine Quentin, Op.cit. P 44.

¹¹ محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص 14.

¹² Antoine Quentin, Op.cit. P 44.

¹³ محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص 14.

¹⁴ محمد الطاهر عزوي- الإعداد السياسي والعسكري للثورة في الأوراس، 1 نوفمبر 1954، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون/ مجلد 1- جزء 1- حزب جبهة التحرير الوطني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 237.

¹⁵ Chenouf Ahmed Boudi- Op.Cit, P 30.

¹⁶ محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص 16.

¹⁷ مثل كل من مصطفى بن بولعيد مع مسعود بلعقون وعجال عجول حرك الانتصار للحريات الديمقراطية M.T.L.D في المؤتمر الذي عقد بتاريخ 16-17-فيفري 1947 (بيلكور) والذي تم فيه تأسيس المنظمة الخاصة ...أنظر:

Chenouf Ahmed Boudi- Op.Cit, P 30

¹⁸ Mohamed Harbi :Le F.L.N- mirage et réalité.1945-1962, et J.A France -1980-P 75.

¹⁹ benjamin.Stora :Dictionnaire Biographique de militants Nationalistes algériens 1926-1954, l'harmattan paris, 1982, p 273.

²⁰ jean vanjour ; de la révolte a la révolution aux premier jour de la guerre d'Algérie .Albine Michel .France 1980 . p 420.

²¹ Jean Morizot. Op.Cit- P 323.

²² Yves courrière — La guerre D'Algérie — Les fils de la toussaint, fayard-France, 1973- P 30.

²³ Jean Morizot. Op.Cit- P 224.

²⁴ محمد الطاهر عزوي، المرجع السابق، ص 252.

²⁵ Mohamed Harbi. Op.Cit- P 90.

²⁶ Jean Morizot. Op.Cit- P 224.

²⁷ محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص ص 18 - 20.

²⁸ jean morizot. Op.Cit. P 225.

²⁹ جون فوجر "JEAN VAUJOUR". "عامل PREFET" في منطقة الأوراس في الأربعينيات ومدير الأمن العام في الجزائر، يعرف بأنه صاحب التقرير المعروف باسمه " تقرير فوجور PAPPUR VAUJOUR " الذي قدمه لوزير الداخلية فرونسوا ميتران في 23 أكتوبر 1954 والذي تنبأ فيه باندلاع ثورة قبل نهاية السنة.

Historia Magazine-N° 195-29 Septembre 1972-P 32. أنظر:

³⁰ Historia Magazine-Ibid., 32.

³¹ عاش الشهيد مصطفى بن بولعيد الثورة 18 شهرا قضى 9 أشهر في سجن الكدية بقسنطينة و 9 أشهر أخرى في قيادة الثورة بجبال الأوراس.

³² jean morizot. Op.cit.P 30.

³³ jean vau jour. Op.cit. P 420.

³⁴ إن مدلول التسمية (الثعلب) ليس إهانة بل هو دليل على الدهاء والحنكة السياسية والعسكرية والأمثلة التاريخية غنية بذلك فالمارشال الألماني رومال إرقن ROMMEL الذي قاد الحملة على إفريقيا في فترة هتلر كان يلقب "بثعلب الصحراء".

³⁵ Historia Magazine-N° 197-13 Octobre 1972-P 106.

³⁶ إيفرار EVRAR . العقيد الفرنسي الذي أشرف على مهمة اغتيال مصطفى بن بولعيد وهي المهمة التي بدأها النقيب "كروتوف KROTOF".

³⁷ Erwan Bergot ;Le Dossier Rouge Services Secret Contre F.L.N- Bernard grosset —Paris - 1976. P 60.

³⁸ Ibid. PP 59,60.

³⁹ P-Lentin-Alger Colenest Eperviers —Historia Magazine N° 13 Octobre 1972-P 109.

⁴⁰ شهادة الطاهر الزبيري-أضواء على اعتقال ابن بولعيد-مجل 1 نوفمبر-عدد 84 جوان 1987-ص36.

⁴¹ (P.G.R) (شرطة الاستعلامات العامة-Police Des Renseignements Généraux)

⁴² P.Lentin. Historia Magazine —Op.Cit, P 109.

⁴³ Ibid. PP 59-60.

⁴⁴ Benjamin Stora. Op.cit. P 237.

⁴⁵ شهادة الطاهر الزبيري. قصة "هرب الشهيد البطل مصطفى بن بولعيد من سجن الكدية بقسنطينة" مجلة أول نوفمبر. عدد 93-94-ماي. جوان 1988. ص10.

⁴⁶ Jean Morizot.Op.cit. P 236.

⁴⁷ Messaoud.Maadam.Guerre D'Algérie Chronologie Et Commentaire — Collection .Sad.Alger 1992-P42.

⁴⁸ Historia Magazine N.213-31 Janvier 1972, P 627.

⁴⁹ Messaoud.Maadam..Op.Cit, P 42.

⁵⁰ Jean Morizot .Op.cit. 236.

⁵¹ Ibid., P 236.

⁵² Messaoud.Maadam.Op.Cit, P 30.

- ⁵³ النقيب "كروتوف kROTOFF" شخصية أسطورية من رجالات الاستخبارات الفرنسية بالجزائر و الذي هلك في عملية إنزال للمظليين بمنطقة الأوراس، أشهر قليلة قبل استشهاد ابن بولعيد -أنظر Erwan. Bergot-Op.cit-P 66
- ⁵⁴ لقد صنع هذا الجهاز "مرسل-مستقبل" في مصنع "سوكورت" بفرنسا الذي يعمل فيه العديد من الخبراء و رجال الاستخبارات و ينتج هذا المصنع حوالي 1000 نوع من هذه الأجهزة المفخخة .
- ⁵⁵ Chenouf Ahmed Boudi -Op.cit. 33.
- ⁵⁶ Erwan. Bergot.Op.Cit 66.
- ⁵⁷ هذه الفرقة "الصدمة 11- choc" كانت وراء اغتيال العديد من أبرز قادة الثورة مثل "محمد بونعامة في البليدة" و "بن بولعيد مصطفى في الجبل الأزرق".
- ⁵⁸ Erwan. Bergot. Op.cit.P 66.
- ⁵⁹ Chenouf Ahmed Boudi Op.Cit 35-60.
- ⁶⁰ هناك اختلاف بين المصادر التاريخية في تحديد اليوم الذي أستشهد فيه ابن بولعيد : "أييف كوريار Yves Couriere" يذكر في مقال له بمجلة (Historia Magazin عدد 213) أن ابن بولعيد أستشهد يوم 27 مارس، أما معداد مسعود في مرجعه السابق يذكر أن الاستشهاد كان في 23 مارس، أما المؤرخ "جون موريزو Jean Morizot" يذكره أنه استشهد يوم 27 مارس 1956، و هو نفس التاريخ الذي ذكره "أييف كوريار Yves Couriere".